آلهة إبلا في الألف الثالث ق.م وآلهة أوغاريت

للأستاذ الفونسو آركي
تعريب وتلخيص : بشير زهدي

ان القوائم العديدة للتقدمات المحفوظة في وثائق القصر الملكي تعتبر مصادر هامة لمعرفة مجموعة آلهة إبلا في الألف الثالث ق.م . كما ان هناك تسميات أخرى للالهة ذات ترتيب مختلف قدمتها أيضاً قوائم معجمية وبفضل دراسة أسماء العلم فانه بالتالي ممكن الى حد ما اثبات انتشار عبادة كل ربة . وبهذا الخصوص يجب ان نأخذ بعين الاعتبار انه سجلت في أسماء أشخاص من كل سورية الشمالية وحتى اذا ذكر بشكل عام مكان الأصل فان أسماء الأمكنة تبقى غالباً صعبة التحديد . واذا استخدمت بشكل عام أسماء العلم الواردة في نصوص إبلا فانها في الحقيقة تعطي معلومات تتعلق ليس بـ (بلا) نفسها فقط وانما بكل المنطقة الممتدة من حماه حتى حران وايمار بل وماري وذلك بفضل ميزة هذه الوثائق .

ومع ذلك لايعرف شيء عن طقوس العبادة وكما كان من الواجب توقعه من وثائق ذلك العصر فان النصوص الطقسية تنقص . وهناك عدد قليل من قضايا سحرية ذلك النوع الذي يعرف منه بعض الأمثلة من النصف الثاني من الألف الثالث ق.م . وان الالهة المبتهل اليها هي (إنليل) و (إنكي) المحدده بالصفة السومرية (لوجال أبزو = ملك المياه الباطنية) ، وزوجته (ننكي) وربة القمح (نيسابا) . وتتعلق هذه النصوص اذن بوضوح بالتقليد السومري ولكن بالتأكيد يوجد في (ابلا) تجديدات لأن هذة الآلهة التقليدية المبتهل اليها في أمور سحرية قد حل محلها آلهة أخرى سامية مثل حدد ، وأحياناً من وسط سوري مثل (كميش) والنهر المؤله (بليخ) ، الا ان هناك بالعكس نصوص باللغة السومرية .

وبين النصوص الأدبية وكلها ذات تفسير صعب يمكن ان نذكر ابتهالا الى الذي ليس محدداً بشكل أفضل انه (ملك السماء والأرض= لوجال انكي) وان هذا التكوين رغم النقاط العديدة الغامضة يبدو مشتقاً من الثقافة السومرية . وان بعض الرقم الأخرى التي تمثل كتابة معتنى بها تتضمن أساطير من المحتمل جداً أن تكون من إنشاء مدينة (إبلا) ولكنها من أصل رافدي بكل تأكيد . وان الآلهة المذكورة هي هنا أيضاً : (انليل) و (انكي) و (نيسابا) و (زبابا) التي تنسب اليها صفة ملك كيش (زبابا لوجال كيش كي) . لقد دخلت هذه الآلهة عن طريق الميثولوجيا السومرية الى (إبلا) وتلقت عبادة رغم انها

محدودة في أوساط التقليد المتعلم فان هذا يظهر بأسماء أشخاص مثل (ايتي انكي = انكي أعطى) . وان التقدمات الى (انكي) مؤكدة في قوائم الأضحيات .

وفي (إبلا) وان كان يوجد العديد من القوائم السومرية (٣٧ نموذج كامل و٥٨ قطعة صلبة) فانه ليس هناك نصوص مهداة فقط الى الآلهة كما هو الحال بالعكس في (فارا) . وان قوائم الكلمات هذه مصنفة على أساس علامات جهزت من قبل الكتاب الإبلائيين بترجمة بين السطور (ولكن في الواقع لايعطى حتى ترجمة بعض الكلمات ولاسيما الدارجة كثيراً) . ففي هذا النوع من النصوص اذن التي نسميها بالمفردات ، وتحت مقطع (آن) الذي هو أيضاً تعريف إلهي ، تندرج مجموعة الآلهة التي هي أيضاً سومرية لان القوائم من أصل رافدي . وان الترتيب المتبع ليس متسلسلا اي ان القائمة لاتبدأ بـ (انليل) كما هو الحال في القائمة الكبرى من فارا ، وانما تتبع بعض تصنيف العلامات . وان أول ربة هي (نيسابا) ربة القمح وتأتي بعدئذ بعض أسماء غامضة لدي مثل (ما) التي يقابلها (آ— تي— ما) ويجب التذكر بأن في هذه القوائم يعطى قراءة العلامات التي تعبر عن اسم سومري ولكن أحياناً أيضاً معادل حقيقي سامي. وبعد ثغرة لدينا في الواقع اسم الربة (نين— كار — دو) التي تعقبها قراءة (ني — جا — را دو) وفي نسخة (ني — جا — لا — دو) وهذا خير مثال لتناوب (ل) و (ر) . الدارج في (إبلا) . ثم يأتي بعدئذ (ان — زي) ولكن النص الذي ليس له مقابلات باللغة الابلائية يتضمن الشكل الصحيح اي (ان — زو) الذي تجب قراءته (زوين = رب القمر) وفي الواقع فان سطر اللغة الابلائية من المفردات يتضمن (زو — ي — نو) ثم يأتي (ان) و (انان) و (هذه الصيغة الأخيرة تدل على الأجداد) الذي يجعل لهم مقابل بصيغ سامية التي لم أنجح في تفسيرها (ما — ا — أوم) و (دو — وش — دا — ي لو — وم) فاذن ان هذة الصيغة الثانية يجب ان تدل على شكل قرابة . وبعدئذ ، لأجل (انليل) الرب الأعظم تعطى قراءة (ل— لي — لو = معبد ... ؟) ولأجل (انكي = رب الحكمة) فان القراءة هي (آ— لاك ٦١٤) . وبين الآلهة الباقية اذكر (ربة القسم) أو (اليمين) (عشاره) التي يكتب اسمها بالسومرية (بارا — را) ، والقراءة باللغة الابلائية (اش — ها — لا) تقدم مثالا آخر للتناوب بين (ر) و (ل) . وأخيراً فان (ان — تي) و(انانا) اللتين يجعل لهما مقابل باللغة السامية (آش — دار — دا) و (آش — دار) . وفي (ابلا) حينئذ مثل (اوغاريت) وفي غيرها من الثقافات السامية في جهة الغرب يميز بين الشكل المذكر والمؤنث في كلمتي (عتار) و (عتارت) .

وكما قلت فان نوع النصوص الهامة لدراسة آلهة (إبلا) هو نوع قوائم التقدمات ليس فقط لأنها عديدة ، ولكن بشكل خاص لأنها تفيدنا عن مجموعة الآلهة المحلية . ويجب قبل كل شيء التمييز بين النصوص التي تسجل الأشياء المقدمة كهدية ، والنصوص التي بالعكس تعدد حيوانات الأضاحي أي الخراف . فالمجموعة الأولى مؤلفة من بضعة آلاف من الرقم الطينية

والأجزاء ، وتشكل نحو خمسي الوثائق الكتابية فهي سجلات (من معاملة واحدة أو أيضاً من شكل من ملخص شهري لما يتعلق بالرقم الكبيرة التي يمكن ان يتجاوز طول ضلعها ٣٠ سم) لنسب لمختلف الأقسام من اشياء معدنية أو معادن غير مشغولة . وان القسم الاكبر منها يتعلق بتسليم من مخازن القصر لمصلحة موظفين مرؤوسين ، ولكن بعضها يتعلق بالآلهة . وسنوضح كيف يتمثل مختلف قطاعات أحد هذه النصوص التي يمكننا اعتبارها كسجلات شهرية : (٦ شيقلات ذهبية لاجل صحنين ، هدية للرب كورا) (مين واحد و ٣٠ شيقلا من الفضة ثمن ثورين ، مين واحد فضة زينة أربعة قرون ، تقدمة من الملك لأجل رشف عداني وكورا)

ان قوائم التضحيات ممثلة بالعكس بثلاثين رقيماً طينياً كاملا ذات أبعاد في (ابلا) ٢٠ سم طول الضلع . وهناك خمس عشرة قطعة من رقم طينية . إنها بيانات شهرية خاصة بنسب اللحوم المخصصة ليس فقط لتقديمها إلى الآلهة وانما أيضاً لبعض الموظفين من أجل الأسفار والحملات وتتراوح الأرقام الإجمالية بين حد أدنى الألف تقريباً والحد الأقصى ٢٠٠٠– ٤٠٠٠حيواناً ولكن يعطى حسابها دائماً بشكل تفصيلي أي أن النصوص مقسمة الى قطاعات واحد منها لكل منها . وهكذا يبدأ نص الرقيم الطيني (ت.م ٧٥ . ج ٢٥١٧) : خروفان– للرب شماجان ، خروفان للرب كورا ، تقدمة من الملك بمناسبة .... خروفان– لأجل ايداكول مدينة آروجادو ، تقدمة من الملك خروفان لأجل ايداكول مدينة لبان : تقدمة من الملك ...)

إن التقدمات المعددة في بداية الرقيم الطيني هي تقدمات الحاكم وتتبعها تقدمات ايراكدامو ابن الملك إبي سيبيش ، وبعدئذ تقدمات الملكة وأخيراً توجد هدايا امراء وموظفين . وفي النصوص فان السنوات التي دونت فيها لم يشر إليها أبداً (وكذلك في معظم رقم إبلا) ولكن اعتماداً على اسماء الشخص يبدو واضحاً بأنه يجب تأريخها من عصر (إبي سيبيش) أي الملك الذي انتهت به السلالة الحاكمة . وبما أن أسماء الشهور لاتتكرر الا نادراً يمكن الاستنتاج بأننا أمام وثيقة غير نظامية وانما أمام بيان خاص بالسنوات الأخيرة من العهد . لهذا السبب فان مجموعة الآلهة التي نستنتجها من هذه النصوص هي من المرحلة الأخيرة للثقافة التي تدل عليها الوثائق الكبيرة من القصر (ج) .

وتجدر الاشارة الى عدم وجود عبادات ربات مخصصة لأشخاص محددين ، فالآلهة التي يضحي لها الملك هي نفسها التي تضحي لها الملكة وغيرها من موظفي القصر . وعلى سبيل المثال : ففي بعض النصوص ، ان الملك هو أولا الملك الذي يقدم الخراف الى الرب (كورا) وبعدئذ الملكة وأخيراً الأميرة (زا آشه)

ان هذا لايفيد بأن هذه التقدمات حصلت في أزمنة مختلفة : اي انه لم يكن هناك عيد يرأسه الملك وآخر يرأسه أمير آخر . وانما بالعكس جرت في أيام محددة في كل شهر . وعلى سبيل المثال يقرأ في نص : ١٣ خروف

لأجل (ايداكول) مدينة (آروجادو) : تقدمة من الملك في اليوم من شهر آمارا) . وفي مقطع تالٍ : (خروفان — لأجل ايداكول مدينة آروجادو) من طرف (ايراكدامو) : تقدمة شهر (آمارا) في حين أنه في بعض النصوص يقرأ فقط : (في يوم اينو) أي في اليوم المعد للتقدمة . والشهر هو المذكور في رأس القائمة . وأحياناً تحدد المناسبات التي تختلف عن هذه التقدمات الممكن وصفها بالنظامية ولكن المصطلح يبقى أحياناً غامضاً وخاصة عندما يعبر عنها باللغة الإبلائية وليس بالسومرية كما يحدث بالعكس في الحالات الآتية : (اينو ديري) يفيد بدون شك (في يوم التقدمة الاضافية) ، و (اينو سيكيل) يفيد (في يوم طقس التطهير) ، و (اينو كور) يفيد (في يوم التموين) .

وان عدد الآلهة المذكورة يتجاوز الأربعين ولبعضها اسم سومري . وهذه حالة (انكي) وزوجته (ننكي) اللذين لم يذكرا مع ذلك الا نادراً . فهي عبادة من أصل عالم . وان الربة (نينكاردو) والربة (اشارا) مذكورتان مراراً . أما (شماغان) رب حماية القطعان فانه وان كان معروفاً وكأنه من أصل رافدي فانه اكتسب مع ذلك بين مجموعة آلهة (إبلا) وضعاً محدداً ، فهو يفتح تقريباً كل قوائم الأضحيات والحيوانات المقدمة اليه من الملك فقط (ولم يذكر عموماً فيما يلي من النص) . وبين الآلهة السامية نجد أولا (حدا) رب العوامل الجوية وان أقانيمه عديدة . ولنلاحظ بشكل خاص (حدا) مدينة لبان و (حدا) من مدينة (عداني) ، وهاتان المدينتان بدون شك قريبتان من (إبلا) ولكن لم يتحدد بعد موقعهما . وهناك الرب المسمى (بي) له أيضاً أهمية كبيرة ، وهناك من يعيد تسميته الى (داجن) . وان صفة مثل (بي — ما — توم) أو باللغة السومرية (كالام — تين) سيد البلاد يوافق جيداً لهذا الرب ، وعلاوة على ذلك فان دراسة أسماء العلم تعرف اسماء كثيرة تملك كمقطع ثان منها (داجن) في حين انه في قوائم الاضحيات لايظهر هذا المقطع أبداً . اذن اذا كان (بي) ليس (داجن) فان هذا الرب ليست له عبادة رسمية في (إبلا) . وهناك أمر آخر هو تفسير هذه الصيغة . ان (بي — دو — دو — لو) و (لوجال — دو دو — لو) أي (بي) ملك (توتول) ذو مغزى ان (بي) يفيد معنى (سيد) . ولكن (السيد) في (إبلا) هو (بعل) . وان دراسة أسماء العلم تؤكد ذلك في حالات مثل (دا — ا— جا — با — ال) و (ان — نا — با — ال) أي (رحمة يامولى) . وعلاوة على ذلك فان المقطع (بي) المفسر بالضرورة بكونه اختصاراً لـ (بي — لو —) يجب ان يكون من أصل شرقي — من ماري مثلا — وعندما وصل الى (إبلا) فهم كصفة خاصة لـ (دجن) . أما بالنسبة الى (بي جا — نا — نا —) أو (جا — نا — نا — يم) — الذي فسر بمعنى (سيد كنعان) تاركين لصاحب الفرضية مهمة حل الصعوبات اللفظية - فانني أريد أن أذكر ان عبادته تبدو منتشرة ليس في المناطق الساحلية وانما في حوض الفرات ولاسيما في (ايمار = مسكنة) مما يشكل عاملا لمصلحة توحيد (بي) مع (دجن) .

وانه كآلهة سورية من بيئة شمالية فانني اذكر (با ـ لي ـ خا) نهر بليخ المؤله . ولكن وبشكل خاص المنطقة الاوغاريتية يجب الاهتمام بالارتباطات الأخرى . ان (رشف) أحد الآلهة الرئيسية في (إبلا) ولاسيما أقنوم (رشف) عداني هذه المدينة التي تعرف كتابتها بشكل (عدانيدو) والتي يصعب توحيدها مع (أضنة) البعيدة جداً ـ يجب ان تكون مركز عبادة هامة بشكل خاص . كما ان (كاشالو) تماثل الآلهة الاوغاريتية (كوشار) وفي أوساط المناطق الغربية (كميش) الذي كان ممجداً في (موآب) في الألف الأول ق.م . وان الآلهة الشمسية هي (زبيش) حتى ولو اختلفت قراءة اسمها في اللغات السامية الأخرى (مثلا في اللغة الاوغاريتية : شاباش) ، فان اسمه الدارج بالسومرية هو (اوتو) . ولكن يعرف أيضاً ربة تسمى (اوتو ـ سال) التي تبدو كتابة إبلائية للاشارة الى زوجة رب الشمس . فانظر مماثل (ني ـ سال) (ي ـ دا ـ كول) أي السيدة (ي ـ و) زوجة (ايداكول) المؤكدة في قوائم التضحيات فعلينا أن نستنتج انه بخلاف (أوغاريت) وبعكس التوافق مع مجموعة الآلهة السامية فان (اوتو) يعبر عن رب مذكر . وان (عشتار) ـ وكتابتها عش ـ دار ـ بالمقابل يظهر نادراً في قوائم التضحيات ، ولهذادلالته اذا فكرنا بانتشار عبادته في بلاد مابين النهرين في حين أنه في (أوغاريت) له أهمية ثانوية . وقد ذكر مع ذلك في بعض النصوص هدايا الى (عشتار) واسمه دارج في اسماء الاعلام .

ولكن الربة المذكورة غالباً أكثر من (رشف) هي (ي ـ دا ـ كول) أو (ني ـ دا ـ كول) المعروفة بعدة أقانيم - هذا لايمكن الا ان يحيرنا في الوقت الذي يصعب تحليل هذا الاسم ويبدو انه ليس من أصل سامي . ويمكن قول نفس الشيء بالنسبة لـ (كورا) الربة التي كانت ممجدة كثيراً في (إبلا) . وفي الواقع هناك تأثير قوي يظهر ليس فقط من قائمة اسماء الأمكنة وانما أيضاً من أسماء الآلهة . ومن ذلك يشتق اسماء الآلهة مثل (آدام ـ ما) واشتابي و (آداماتوم) يمكن ان يكون صيغة مؤنثة اكتسبت طابعاً سامياً وان كلا من (آدام ما) و (آشتابي) معروف من نصوص الألف الثاني ق.م سواء أكانت أوغاريتية أو حثية لكونهما الهتين حوريتين .

ولكن ـ كما لاحظت (لاروش) في اللقاء الاشوري المنعقد في باريس عام ١٩٧٧ ـ فان المشكلة يجب طرقها بهذه الصيغة : ١ ـ اذا التحدث عن عناصر او مقاطع حورية في (إبلا) فانه يجب تقديم وثائق محددة . ٢ ـ ان ربتين من عصر أحدث وجدتا في مجموعة الآلهة الحورية في اوغاريت والأناضول يمكن تفسير ذلك بأن السكان الحوريين المقيمين في مناطق الجهة الغربية قد تبنوهما ولا توجد هاتان الربتان في الواقع في مجموعة الآلهة الحورية في المناطق الشرقية .

ان دراسة أسماء العلم تفضل الآلهة السامية مثل (زبيش . كميش ، وحداو رشف ، ودجن وعشتار) . ولكن العناصر الدارجة كثيراً هي : ايل ودامو ، وليم وماليك . وان الاسم الأخير يفهم كصفة لربة ممجدة كثيراً مثل

(ايداكول) و (كورا) . وبما انه في قوائم الأضحيات توجد تقدمات الى (آن) وان هذه الصيغة السومرية تبدو انها من الواجب ترجمتها بصيغة (ايل) فان المحتمل أن العنصر (ايل) في اسماء الاشخاص يمثل هذا الاله أكثر مما هو صفة . واحياناً فانه بالعكس في مكان اسم الآلهة يوجد العنصر (— ني) الذي يمكن أيضاً أن يكون (لو — يا) . هناك اذن اسماء من نموذج (اننا ـ يا) عوضاً عن (اننا — دجن) ولكن من المعروف جيداً منذ بداية الدراسات الآشورية بأن (يا) نموذج مشترك كثيراً لتشكيل أسماء مختصرة . وفي الواقع ، على نفس الرقيم يوجد قرب أحدهما من الآخر مقاطع من هذا النوع (اك — نا دا — آر — لو — مي — جا — يل) و (اك — نا — دا — آر — لو — مي — جا — يا) أي (اكنادارا) المرتبط بـ (ميكايل) أو ميكايا . وظاهر هنا ان (يا) ينوب عن (يل) والاسم يجب تفسيره بـ (الذي مثل ايل ؟) .

—— ** ——